ISSN: 3079-062X
مجلة علمية محكّمة نصف سنوية تصدر عن الجمعية الليبية للعلوم التربوية والإنسانية
https://alasala.alandalus-libya.org.ly/ojs/index.php/aj/index

دور الفنون التشكيلية في التعبير عن الهوية الثقافية

محمود عبدالله خماج
قسم رياض أطفال ، كلية التربية ، جامعة نالوت ، ليبيا
Email: az9028318@gmail.com
تاريخ الارسال 2026/3/15م تاريخ القبول 2026/4/11م

The Role of Visual Arts in Expressing Cultural Identity

Department of Kindergarten, Faculty of Education, Nalut University
Mahmoud Abdullah Khamaj
Email: az9028318@gmail.com

Abstract:
The study aimed to identify the role of visual arts in expressing cultural identity through the following axes: examining the role of visual arts in expressing cultural identity among individuals and societies; identifying the challenges facing visual arts in preserving cultural identity in the context of globalization; exploring how to achieve a balance between authenticity and modernity in artistic work without losing cultural specificity; and identifying the role of educational and cultural institutions in supporting visual arts and strengthening their connection to cultural identity. The study adopted the descriptive method due to its suitability for the research objectives. The study reached the following results:

- The study showed that visual artworks represent a visual language that conveys societal values, beliefs, and traditions.
- The results indicated that openness to global trends and artistic styles may lead to the dilution of local identity if authenticity and modernity are not carefully integrated.
- The study revealed that combining traditional symbols with modern techniques enhances artistic creativity while preserving cultural specificity.
- The findings showed that educational and cultural institutions provide both cognitive and practical support for artists.

Keywords: Visual Arts – Cultural Identity

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC

الملخص:

هدفت الدراسة إلى التعرف على دور الفنون التشكيلية في التعبير عن الهوية الثقافية من خلال المحاور الاتية: التعرّف على دور الفنون التشكيلية في التعبير عن الهوية الثقافية لدى الأفراد والمجتمعات، والتعرّف على أبرز التحديات التي تواجه الفنون التشكيلية في الحفاظ على الهوية الثقافية في ظل العولمة، وايضاً التعرّف على كيفية تحقيق التوازن بين الأصالة والمعاصرة في العمل التشكيلي دون فقدان الخصوصية الثقافية، والتعرّف على دور المؤسسات التعليمية والثقافية في دعم الفنون التشكيلية وتعزيز ارتباطها بالهوية الثقافية، واتبع المنهج الوصفي لملائمته لأغراض الدراسة، وتوصلت الدراسة إلى النتائج الاتية:

- أظهرت الدراسة أن الأعمال التشكيلية تمثل لغة بصرية تنقل القيم والمعتقدات والتقاليد المجتمعية.
- بينت النتائج أن الانفتاح على التيارات والأساليب العالمية يمكن أن يؤدي إلى تمييع الهوية المحلية إذا لم يتم دمج الأصالة مع المعاصرة بشكل مدروس.
- كشفت الدراسة أن دمج الرموز التقليدية مع الأساليب الحديثة يعزز الإبداع الفني ويحافظ على الخصوصية الثقافية.
- أظهرت النتائج أن المؤسسات التعليمية والثقافية توفر الدعم المعرفي والعملي للفنانين.

الكلمات المقترحة: الفنون التشكيلية- الهوية الثقافية.

المقدمة:

تُعدّ الفنون التشكيلية من أرقى أشكال التعبير الإنساني التي رافقت الإنسان منذ أقدم العصور، حيث لم تكن مجرد وسيلة للزخرفة أو الترف الجمالي، بل شكلت لغة بصرية عميقة عبّر من خلالها الإنسان عن أفكاره ومعتقداته وبيئته الاجتماعية، فمن الرسوم الجدارية في الكهوف إلى اللوحات المعاصرة، ظلّ الفن التشكيلي مرآة تعكس ملامح الحياة الإنسانية وتحولاتها، وتوثّق في الوقت ذاته خصوصيات الشعوب وتفاصيل هويتها الثقافية.

وتبرز أهمية الفنون التشكيلية في كونها أداة فعّالة لحفظ التراث الثقافي ونقله عبر الأجيال، إذ تحمل الأعمال الفنية في طياتها رموزاً ودلالات تعبّر عن العادات والتقاليد والقيم السائدة في المجتمع، فاللون، والخط، والشكل، والتكوين، جميعها عناصر لا

تُستخدم بشكل عشوائي، بل تُوظّف لتعكس بيئة الفنان وخلفيته الثقافية، وبذلك يصبح العمل التشكيلي وثيقة بصرية تُسهم في تعزيز الانتماء الثقافي وترسيخ الهوية لدى الأفراد والجماعات.

وفي سياق متصل تلعب الفنون التشكيلية دوراً محورياً في إبراز التنوع الثقافي بين الشعوب، حيث يعبّر كل مجتمع عن ذاته بأساليب فنية خاصة تميّزه عن غيره، فالفن الإفريقي، وعلى سبيل المثال يتميز باستخدام الرموز والأشكال المجردة المرتبطة بالمعتقدات الروحية، وبينما يعكس الفن العربي الإسلامي ثراءً زخرفياً وهندسياً نابعاً من قيم دينية وجمالية خاصة، ومن خلال هذا التنوع، تسهم الفنون التشكيلية في خلق حوار حضاري بين الثقافات، وتعزز من فهم الآخر وتقدير اختلافه.

وأن الفنان التشكيلي لا يعمل بمعزل عن واقعه، بل يتأثر بالقضايا الاجتماعية والسياسية والثقافية التي يعيشها، ويعيد صياغتها في أعماله بأسلوب إبداعي، وهنا تتجلى وظيفة الفن كوسيلة للتعبير عن الهوية في أبعادها المختلفة، سواء كانت هوية فردية تعكس تجربة الفنان الذاتية، أو هوية جماعية تعبّر عن قضايا المجتمع وهمومه، وقد أصبح هذا الدور أكثر وضوحاً في العصر الحديث، حيث يستخدم الفنانون أعمالهم للدفاع عن الهوية الثقافية في مواجهة العولمة والتحديات التي تهدد خصوصية المجتمعات.

ومع تطور التكنولوجيا وظهور أشكال جديدة من التعبير الفني، مثل الفن الرقمي، اتسعت آفاق الفنون التشكيلية لتشمل وسائل حديثة تُسهم في إعادة تعريف الهوية الثقافية بطرق مبتكرة، ورغم هذا التطور لا تزال الفنون التشكيلية محافظة على جوهرها كوسيلة للتعبير عن الذات والانتماء، ما يؤكد قدرتها على التكيف مع المتغيرات دون أن تفقد ارتباطها بالجذور الثقافية.

وعليه فإن دراسة دور الفنون التشكيلية في التعبير عن الهوية الثقافية تُعدّ ضرورة لفهم العلاقة العميقة بين الفن والمجتمع، وكيف يمكن للأعمال الفنية أن تُسهم في الحفاظ على الخصوصية الثقافية وتعزيزها في عالم يشهد تسارعاً كبيراً في التغيرات، ومن هذا المنطلق يسعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على أهمية الفنون التشكيلية كوسيلة للتعبير عن الهوية، وتحليل أبعاد هذا الدور في سياقات ثقافية مختلفة، مع إبراز تأثيرها في تشكيل الوعي الفردي والجماعي.

أولاً- مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة البحث في دراسة الدور الذي تؤديه الفنون التشكيلية في التعبير عن الهوية الثقافية، في ظل التحولات المتسارعة التي يشهدها العالم المعاصر، خاصة مع انتشار العولمة والتطور التكنولوجي والانفتاح الثقافي، فرغم الأهمية الكبيرة للفنون التشكيلية باعتبارها وسيلة تعبيرية تعكس خصوصية المجتمعات، إلا أن هذا الدور أصبح يواجه العديد من التحديات التي قد تُضعف من قدرته على الحفاظ على الهوية الثقافية وتمثيلها بشكل أصيل.

ومن أبرز ملامح هذه المشكلة التداخل الكبير بين الثقافات نتيجة الانفتاح العالمي، حيث أصبح الفنان يتأثر بمصادر متعددة ومتنوعة قد لا تنتمي إلى بيئته الأصلية، وهذا التداخل قد يؤدي في بعض الأحيان إلى فقدان الخصوصية الثقافية للعمل الفني، بحيث يصبح أقرب إلى النمط العالمي العام، بدل أن يعكس هوية محلية مميزة، وأن هذا التأثير المتبادل بين الثقافات، على الرغم من إيجابياته في توسيع آفاق الإبداع، إلا أنه قد يسهم في إضعاف الخصائص الثقافية الأصيلة إذا لم يتم التعامل معه بوعي فني وثقافي.

وتتجلى مشكلة البحث في ضعف الوعي المجتمعي بأهمية الفنون التشكيلية كحامل للهوية الثقافية، حيث يُنظر إليها في كثير من الأحيان على أنها مجرد نشاط جمالي أو ترفيهي، دون إدراك دورها العميق في التعبير عن القيم والتراث والتاريخ، ويؤدي هذا الفهم المحدود إلى إهمال دعم الفنون التشكيلية، سواء على مستوى المؤسسات التعليمية أو الثقافية، ما ينعكس سلباً على حضورها وتأثيرها في المجتمع، ويضعف من قدرتها على أداء دورها في تعزيز الهوية الثقافية.

وإضافة إلى ذلك تواجه الفنون التشكيلية تحديات مرتبطة بالتطور التكنولوجي، حيث أدى ظهور الفن الرقمي ووسائل التعبير الحديثة إلى تغيّر طبيعة الإنتاج الفني وأساليبه، ورغم أن هذه التطورات تفتح آفاقاً واسعة للإبداع والابتكار، إلا أنها قد تُسهم في إبعاد العمل الفني عن جذوره الثقافية إذا لم يتم توظيفها بشكل يحافظ على الخصوصية الثقافية، وفي هذا السياق تبرز إشكالية التوازن بين الأصالة والمعاصرة، حيث يجد الفنان نفسه بين ضرورة الحفاظ على التراث والهوية، وبين الانفتاح على أساليب جديدة تفرضها طبيعة العصر.

وأن المؤسسات الثقافية والتعليمية رغم دورها المهم في تشكيل الوعي الفني، تعاني في كثير من الأحيان من ضعف الاهتمام بالفنون التشكيلية في المناهج الدراسية، وقلة

البرامج الداعمة للفنانين، وهو ما يُعد من العوامل التي تُعمّق من مشكلة البحث، فغياب التأطير الأكاديمي والتشجيع المؤسسي يؤدي إلى تراجع دور الفن في التعبير عن الهوية، ويحدّ من قدرة الفنانين على تطوير أساليبهم بما يخدم ثقافتهم المحلية ويعزز حضورها.

وتتبلور مشكلة البحث أيضاً في قلة الدراسات التي تتناول العلاقة بين الفنون التشكيلية والهوية الثقافية بشكل معمق، خاصة في السياق العربي، ما يجعل فهم هذه العلاقة محدوداً وغير مكتمل، ويؤدي هذا النقص المعرفي إلى ضعف القدرة على تحليل التحديات التي تواجه الفنون التشكيلية، واقتراح حلول فعّالة للحفاظ على الهوية الثقافية في ظل المتغيرات المعاصرة.

وبناءً على ما سبق تتحدد مشكلة البحث في الحاجة إلى فهم أعمق لدور الفنون التشكيلية في التعبير عن الهوية الثقافية في ظل التحولات المعاصرة، مع التركيز على التحديات التي تواجه هذا الدور، وكيفية تعزيز قدرة الفن التشكيلي على الحفاظ على الخصوصية الثقافية، وتنبع أهمية هذه المشكلة من ارتباطها بأبعاد نظرية وتطبيقية وثقافية واجتماعية، مما يجعل دراستها ضرورة ملحّة في ظل عالم يشهد تزايداً في مظاهر التشابه الثقافي، ومن هنا يسعى هذا البحث إلى تحليل هذه الإشكالية وتسليط الضوء على أبعادها المختلفة، بما يسهم في تعزيز دور الفنون التشكيلية في التعبير عن الهوية الثقافية بشكل فعّال ومستدام.

ثانياً- تساؤلات الدراسة:

انطلاقًا من مشكلة الدراسة وأهميتها، تم صياغة عدد من التساؤلات التي تسعى إلى توجيه البحث وتحليل أبعاده المختلفة، وذلك على النحو الآتي:

1. كيف تسهم الفنون التشكيلية في التعبير عن الهوية الثقافية لدى الأفراد والمجتمعات؟
2. ما أبرز التحديات التي تواجه الفنون التشكيلية في الحفاظ على الهوية الثقافية في ظل العولمة؟
3. إلى أي مدى يمكن تحقيق التوازن بين الأصالة والمعاصرة في العمل التشكيلي دون فقدان الخصوصية الثقافية؟
4. ما دور المؤسسات التعليمية والثقافية في دعم الفنون التشكيلية وتعزيز ارتباطها بالهوية الثقافية؟

ثالثاً -أهداف الدراسة:

بناءً على مشكلة الدراسة وتساؤلاتها يهدف هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف التي تُسهم في فهم أعمق لموضوعه وتسليط الضوء على أبرز العوامل المرتبطة به، وذلك من خلال ما يلي:

1. التعرّف على دور الفنون التشكيلية في التعبير عن الهوية الثقافية لدى الأفراد والمجتمعات.
2. التعرّف على أبرز التحديات التي تواجه الفنون التشكيلية في الحفاظ على الهوية الثقافية في ظل العولمة.
3. التعرّف على كيفية تحقيق التوازن بين الأصالة والمعاصرة في العمل التشكيلي دون فقدان الخصوصية الثقافية.
4. التعرّف على دور المؤسسات التعليمية والثقافية في دعم الفنون التشكيلية وتعزيز ارتباطها بالهوية الثقافية.

رابعاً_ أهمية الدراسة:

تبرز اهمية الدراسة على النحو الاتي:

أولًا- الأهمية النظرية:

1. إبراز العلاقة بين الفنون التشكيلية والهوية الثقافية من خلال تأصيل المفاهيم النظرية المرتبطة بهما.
2. الإسهام في إثراء الدراسات الأكاديمية التي تتناول دور الفن في التعبير عن القيم الثقافية والاجتماعية.
3. توضيح دور الفنون التشكيلية كوسيلة رمزية لفهم الثقافات المختلفة وتحليلها.
4. تقديم إطار نظري يساعد الباحثين على دراسة تأثير التحولات المعاصرة على الهوية الثقافية في الفن

.ثانيًا- الأهمية التطبيقية:

1. المساهمة في توجيه الفنانين نحو إنتاج أعمال فنية تعكس الهوية الثقافية وتحافظ عليها.
2. دعم المؤسسات التعليمية في تطوير مناهج تعزز الوعي بدور الفنون التشكيلية في التعبير عن الهوية.
3. تقديم توصيات عملية للمؤسسات الثقافية لتعزيز حضور الفنون التشكيلية في المجتمع.

4. تعزيز الوعي المجتمعي بأهمية الفنون التشكيلية في الحفاظ على التراث والهوية الثقافية.

خامساً- مفاهيم الدراسة:

تقتضي طبيعة هذا البحث توضيح المفاهيم الرئيسة المرتبطة بموضوعه، لضمان الدقة في الفهم والتحديد الإجرائي للمصطلحات المستخدمة.

الفنون التشكيلية:

هي مجموعة الفنون التي تعتمد على التعبير البصري باستخدام عناصر مثل اللون والخط والشكل والكتلة، وتشمل الرسم، والنحت، والخزف، والتصميم، وتهدف إلى نقل أفكار ومشاعر الفنان بأساليب إبداعية تعكس رؤيته الخاصة وبيئته الثقافية.[1]

الهوية الثقافية:

هي مجموعة السمات والخصائص التي تميز مجتمعاً معيناً عن غيره، وتشمل القيم والعادات والتقاليد واللغة والدين والتاريخ، وتُعد الهوية الثقافية إطاراً مرجعياً يحدد انتماء الأفراد ويعكس خصوصيتهم الحضارية.[2]

العولمة الثقافية:

هي عملية تداخل الثقافات وتفاعلها على مستوى عالمي، نتيجة التطور التكنولوجي ووسائل الاتصال، مما يؤدي إلى انتشار أنماط ثقافية مشتركة قد تؤثر على الخصوصيات الثقافية المحلية.[3]

أولاً_ دور الفنون التشكيلية كوسيلة للتعبير عن الهوية الثقافية لدى الأفراد والمجتمعات:

تلعب الفنون التشكيلية دوراً محورياً في التعبير عن الهوية الثقافية لدى الأفراد والمجتمعات، إذ تمثل وسيلة فنية فريدة تمكن الإنسان من تجسيد قيمه ومعتقداته وتجربته الاجتماعية بطريقة بصرية محسوسة، فالهوية الثقافية ليست مجرد عناصر تاريخية أو تقاليد محفوظة، بل هي مجموعة من الممارسات والقيم والعادات التي تحدد شعور الانتماء والانفراد لكل مجتمع، ومن هنا تصبح الفنون التشكيلية لغة بصرية تتحدث دون كلمات، تنقل من خلالها المجتمعات معانيها ورؤيتها للعالم، وتخلق رابطاً بين الماضي والحاضر، بين الفرد والمجتمع، وبين الجماعات الثقافية المختلفة.

من الناحية التاريخية كانت الفنون التشكيلية وسيلة للتوثيق والتعبير عن الهوية منذ العصور القديمة، حيث تظهر اللوحات الجدارية في الكهوف والنقوش الحجرية والتماثيل كوسائل للتعبير عن حياة الإنسان ومعتقداته، وهذه الأعمال ليست مجرد

زخارف جمالية، بل تحمل رموزاً ودلالات تشير إلى البيئة الاجتماعية والدينية والسياسية لتلك الفترة، وبالتالي فإن كل عمل تشكيلي هو بمثابة وثيقة ثقافية تعكس خصوصية مجتمع معين، وتساعد في فهم كيف كان هذا المجتمع يرى نفسه ويتفاعل مع محيطه، وفي المجتمعات المعاصرة، تستمر هذه الوظيفة، إلا أن التعبير أصبح أكثر تنوعاً وغنى، حيث يدمج الفنانون في أعمالهم عناصر من التراث المحلي مع أساليب حديثة تعكس تأثيرات العولمة والانفتاح الثقافي.[4]

وعلاوة على ذلك تتيح الفنون التشكيلية للفرد فرصة التعبير عن هويته الشخصية داخل إطار الهوية الثقافية الأوسع، فالفنان من خلال اختياره للموضوعات والأساليب والرموز، يعكس تجربته الذاتية وتأثره بثقافته المحلية، سواء كانت عادات وتقاليد أو معتقدات دينية أو أحداث تاريخية، وتظهر هذه العلاقة بوضوح في اللوحات التي تستخدم الرموز المحلية أو الألوان المميزة المرتبطة بالثقافة المحلية، حيث تصبح الأعمال الفنية بمثابة جسر يربط بين الفرد والمجتمع ويتيح للآخرين فهم أبعاد الهوية الثقافية بشكل أعمق، ومن هنا فإن العمل التشكيلي ليس مجرد منتج جمالي، بل وسيلة للتواصل الثقافي والتعبير عن الذات ضمن سياق جماعي.

وكما تسهم الفنون التشكيلية في تعزيز الهوية الثقافية على مستوى المجتمعات من خلال ترسيخ قيمها ومبادئها في الوعي الجماعي، فالأعمال الفنية التي تعكس التراث أو التاريخ أو الحياة اليومية لمجتمع معين تساعد على تذكير الأجيال الجديدة بجذورهم الثقافية وبالأحداث والقيم التي شكلت مجتمعاتهم، وهذا الدور يصبح أكثر أهمية في مواجهة التغيرات السريعة التي يفرضها العصر الحديث، مثل العولمة والتقنيات الحديثة ووسائل التواصل الاجتماعي، والتي قد تؤدي إلى تراجع الانتماء الثقافي أو تمييع الهوية، ومن خلال الفن، تتمكن المجتمعات من الحفاظ على ملامحها الثقافية وتعزيز شعور الانتماء، فضلاً عن تشجيع الحوار بين الثقافات المختلفة عبر تقديم أعمال فنية تحمل رموزاً ودلالات تعكس خصوصية المجتمع.

ويمكن القول إن الفنون التشكيلية تمثل أداة تعليمية وتثقيفية غير مباشرة، إذ تعزز الوعي بالهوية الثقافية لدى الأفراد من مختلف الأعمار، فاللوحات والتماثيل والمعارض الفنية تعد وسائط تعليمية تساعد على التعرف على التراث والتاريخ والعادات، وتوفر نموذجاً ملموساً لتجربة الهوية الثقافية، وهذا النوع من التعبير البصري يجعل من السهل على الجمهور إدراك القيم الثقافية وتقديرها، ويحفز الأفراد على التفكير النقدي بشأن دور الفن في المجتمع وعلاقته بالهوية الثقافية، ومن هنا

يصبح الفن التشكيلي عنصراً أساسياً في الحفاظ على الهوية الثقافية ونقلها للأجيال القادمة بطريقة تفاعلية وملهمة.(5)

وفي ضوء كل ما سبق يتضح أن الفنون التشكيلية ليست مجرد أنشطة جمالية، بل هي أداة فعّالة للتعبير عن الهوية الثقافية على مستويات متعددة، فهي تتيح للفنان التعبير عن ذاته وتاريخه الثقافي، وتعمل على نقل قيم المجتمع وتراثه للأجيال الجديدة، وتساهم في تعزيز الحوار بين الثقافات المختلفة، وفي عصر تتسارع فيه التغيرات الاجتماعية والثقافية، يظل الفن التشكيلي من أهم الوسائل التي تحافظ على خصوصية الهوية الثقافية وتعزز شعور الانتماء لدى الأفراد والجماعات، ما يجعل دراسة دوره وتحليل طرق التعبير الفني عن الهوية ضرورة ملحة لفهم العلاقة العميقة بين الفن والمجتمع.

ثانيا-التحديات التي تواجه الفنون التشكيلية في الحفاظ على الهوية الثقافية في ظل العولمة:

تواجه الفنون التشكيلية تحديات كبيرة في الحفاظ على الهوية الثقافية في ظل العولمة، وهو ما أصبح يشكل محور اهتمام الباحثين والفنانين على حد سواء، العولمة التي تعني التداخل الكبير بين الثقافات وانتشار الأنماط الثقافية عبر الحدود، أدت إلى تغيير طبيعة الإنتاج الفني وأساليب التعبير التقليدية، وفقد أصبح الفنان اليوم يتأثر بالتيارات والأساليب العالمية، مما قد يؤدي إلى دمج عناصر غير محلية في أعماله، وبالتالي تراجع الخصوصية الثقافية التي كانت تتميز بها الفنون التشكيلية في كل مجتمع، وهذا التأثير يظهر جلياً في الأعمال المعاصرة التي تميل أحياناً إلى الانصهار في أسلوب عالمي موحد، بعيداً عن الرموز والتقنيات التقليدية التي تعكس الهوية المحلية.(6)

وإحدى أبرز التحديات تتمثل في مواجهة صعوبة الحفاظ على التراث الفني في زمن الانفتاح على الثقافات الأخرى، فالفنون التشكيلية التقليدية غالباً ما ترتبط بعناصر رمزية محددة تعكس قيم المجتمع وعاداته وتاريخه، بينما تدفع العولمة الفنان إلى تجربة أساليب جديدة قد تكون أجنبية على سياق المجتمع المحلي، وهذا يطرح سؤالاً أساسياً حول مدى قدرة الفنان على الحفاظ على أصالة فنه وهوية مجتمعه في ظل التأثيرات الخارجية المتزايدة، وهو تحدٍ يتطلب وعي الفنان بالتراث والثقافة الخاصة بمجتمعه مع الانفتاح على التجديد والإبداع.

وكما يواجه الفنانون تحدياً يتعلق بالوعي المجتمعي بأهمية الفنون التشكيلية في الحفاظ على الهوية الثقافية، ففي كثير من المجتمعات، يُنظر إلى الفن التشكيلي على أنه مجرد

نشاط جمالي أو ترفيهي، ما يقلل من الاهتمام بدوره في نقل القيم الثقافية وحماية التراث، ويؤدي هذا النقص في الوعي إلى ضعف الدعم المؤسساتي، سواء على مستوى التعليم أو الثقافة أو التمويل، ما يحد من قدرة الفنان على تطوير أعماله بما يحافظ على خصوصية مجتمعه الثقافية، فغياب الاهتمام المؤسسي يجعل الفنان في مواجهة تحديات إضافية تتعلق بالموارد وفرص العرض والتدريب الفني، وبالتالي يصبح الحفاظ على الهوية الثقافية مهمة أصعب وأكثر تعقيداً.(7)

التحديات لا تقتصر على الجوانب الثقافية والاجتماعية فقط، بل تشمل أيضاً تأثير التكنولوجيا الحديثة والفن الرقمي، فظهور وسائل الإعلام الرقمية والتقنيات المتقدمة في إنتاج الفن أدى إلى تغيير جذري في أساليب التعبير الفني، حيث أصبح بالإمكان استخدام برامج رقمية وتقنيات ثلاثية الأبعاد وأساليب مبتكرة لا ترتبط بالضرورة بالتراث المحلي، ورغم أن هذه الوسائل توفر إمكانيات واسعة للإبداع، إلا أنها قد تقلل من القدرة على نقل الهوية الثقافية التقليدية بنفس العمق الذي توفره الفنون التقليدية، وبالتالي يجب على الفنان أن يجد طرقاً مبتكرة لدمج هذه التقنيات الحديثة مع الرموز والعناصر الثقافية الأصيلة دون فقدان الخصوصية.(8)

وإضافة إلى ذلك يواجه الفن التشكيلي تحدياً يرتبط بالتوازن بين الأصالة والمعاصرة، حيث يجد الفنان نفسه أمام خيارات صعبة بين التمسك بالتراث والمحافظة على الأساليب التقليدية أو الانفتاح على أساليب جديدة قد تبتعد عن الهوية الثقافية الأصلية، تحقيق هذا التوازن يتطلب فهماً عميقاً للثقافة المحلية وقيمها، وكذلك قدرة على الابتكار والتجديد بما يخدم التعبير الفني دون التفريط في خصوصية المجتمع، ويتضح هذا التحدي بشكل خاص في المجتمعات التي تتعرض لضغوط ثقافية كبيرة من التيارات العالمية، حيث يصبح الحفاظ على الهوية الثقافية مهمة معقدة تتطلب جهداً مستمراً من الفنان والمؤسسات الداعمة.

وأخيراً يمثل غياب الدراسات المتخصصة عن العلاقة بين الفنون التشكيلية والهوية الثقافية في سياق العولمة تحدياً معرفياً، فقلة البحوث والدراسات الأكاديمية تعيق القدرة على فهم مدى تأثير الانفتاح العالمي على الفن المحلي، تحد من إمكانية تقديم استراتيجيات عملية لحماية وتعزيز الهوية الثقافية من خلال الفنون التشكيلية، ومن هنا تأتي أهمية البحث المستمر لتسليط الضوء على هذه الإشكالية، وتحليل آثار العولمة على الفن والهوية، وتقديم رؤى تساعد الفنان والمجتمع على مواجهة التحديات المعاصرة بوعي وإبداع. (9)

وباختصار يمكن القول إن أبرز التحديات التي تواجه الفنون التشكيلية في الحفاظ على الهوية الثقافية في ظل العولمة تتضمن تأثير التيارات الثقافية العالمية على أساليب الفنان، ضعف الوعي والدعم المؤسسي، صعوبات الدمج بين التقنيات الحديثة والتراث، والحاجة إلى تحقيق توازن مستمر بين الأصالة والمعاصرة، ومواجهة هذه التحديات تتطلب جهداً مشتركاً من الفنانين والمؤسسات الثقافية والمجتمع ككل للحفاظ على خصوصية الهوية الثقافية وتعزيزها في عالم سريع التغير.

ثالثاً- تحقيق التوازن بين الأصالة والمعاصرة في العمل التشكيلي والحفاظ على الخصوصية الثقافية:

يعد التوازن بين الأصالة والمعاصرة في العمل التشكيلي أحد أهم القضايا التي تواجه الفنان المعاصر، لأنه يعكس التحدي الأساسي المتمثل في الحفاظ على الهوية الثقافية أثناء التفاعل مع المتغيرات العالمية، فالأصالة تمثل الجذور الثقافية التي تشكلت عبر التاريخ الطويل لكل مجتمع، وهي تتجسد في الرموز والألوان والأساليب التقليدية والممارسات الفنية التي تعكس قيم المجتمع وعاداته وتاريخه الفني، وبينما تمثل المعاصرة الانفتاح على الأساليب والتقنيات الحديثة، والقدرة على التجديد والابتكار، بما يسمح للفنان بالتعبير عن قضايا العصر بروح فنية جديدة، وإن الجمع بين هذين البعدين يتطلب وعياً عميقاً بتاريخ الفن المحلي ومعرفته بأصوله الرمزية والثقافية، وفي الوقت ذاته القدرة على استيعاب روح العصر والتقنيات الحديثة، بما يضمن استمرار هوية العمل الفني دون أن يتحول إلى منتج عالمي يفقد خصوصيته الثقافية.[10]

وتتضح أهمية هذا التوازن عندما نلاحظ أن الأعمال الفنية التي تمزج بين التراث والأساليب الحديثة غالباً ما تحمل قيمة مزدوجة، فهي تعكس الانتماء الثقافي للفنان ومجتمعه، وفي الوقت نفسه تقدم رؤية جديدة تتماشى مع متطلبات العصر المعاصر. على سبيل المثال، ويمكن للفنان أن يستخدم الزخارف الهندسية التقليدية أو النقوش الشعبية في لوحات تحمل موضوعات معاصرة مثل التغير الاجتماعي أو التحولات البيئية، بحيث يظل العمل الفني مشبعا بالرموز المحلية، لكنه في الوقت نفسه يفتح باب الحوار مع الجمهور الحديث الذي قد يكون بعيداً عن التراث التقليدي، ويصبح هذا النهج وسيلة لتقريب الأجيال الجديدة من تراثهم الثقافي بطريقة مبتكرة تدمج الماضي بالحاضر، وتمنح العمل الفني بعداً ديناميكياً يعكس التفاعل بين الثقافة التقليدية والمعاصرة.[11]

ويساهم التوازن بين الأصالة والمعاصرة في مواجهة تأثير العولمة على الفنون التشكيلية، إذ توفر العولمة فرصاً كبيرة للتبادل الثقافي والفني، ولكنها في الوقت نفسه تشكل تهديداً للخصوصية الثقافية، فالانفتاح على التيارات والأساليب العالمية قد يؤدي أحياناً إلى محاكاة الأنماط الفنية السائدة في العالم، وهو ما يقلل من خصوصية الفن المحلي، ومن خلال دمج العناصر التقليدية مع الأساليب الحديثة، يمكن للفنان أن يحافظ على هويته الثقافية ويشارك في الحوار الفني العالمي دون أن يفقد جذوره، ويصبح العمل الفني بذلك وسيلة لنقل الثقافة المحلية إلى الجمهور العالمي، مع الحفاظ على خصوصيته وتميزه، ما يعزز حضور المجتمع في المشهد الفني الدولي.

وإضافة إلى ذلك يمثل هذا التوازن فرصة لتعزيز الإبداع الفني والابتكار، فعندما يمتلك الفنان القدرة على دمج الرموز التقليدية مع أساليب معاصرة، فإنه يستطيع ابتكار أساليب جديدة تعكس تجربته الثقافية الخاصة، وتمنح العمل الفني هوية فريدة، ويتطلب ذلك فهماً نقدياً للتراث الثقافي، بحيث يعرف الفنان أي العناصر يمكن تحديثها وإعادة تفسيرها، وأيها يجب الحفاظ عليه كما هو، للحفاظ على ارتباطه بالخصوصية الثقافية، وفي هذا السياق، تصبح العملية الفنية تجربة تعليمية وثقافية بحد ذاتها، تساعد على ترسيخ الهوية الثقافية للأجيال الجديدة، بينما تمنح الفنان حرية التعبير عن قضايا العصر بطرق حديثة ومبتكرة.[12]

وتتجلى أهمية هذا التوازن أيضاً في دوره الاجتماعي، إذ تتيح الأعمال الفنية التي تمزج بين الأصالة والمعاصرة للجمهور التعرف على التراث الثقافي بأسلوب جذاب وحديث، فالمجتمعات الحديثة تواجه تحديات تتعلق بانحسار الوعي بالتراث الثقافي بسبب الانشغال بالتطورات الرقمية والانفتاح على ثقافات أخرى، ولذا فإن الأعمال الفنية التي تحافظ على الرموز التقليدية وتقدمها بأسلوب معاصر تصبح جسراً فعالاً بين الماضي والحاضر، وبين الأجيال المختلفة، وتعزز الانتماء الثقافي لدى الأفراد والمجتمع ككل.

وبالإضافة إلى الجانب الثقافي والاجتماعي فإن تحقيق هذا التوازن له بعد اقتصادي وفني، إذ يفتح المجال أمام الفنانين للمشاركة في المعارض الدولية وبيع أعمالهم في أسواق عالمية، مع الاحتفاظ بخصوصية فنهم وهويتهم الثقافية، وهذا بدوره يحفز على تطوير الفن المحلي ورفع جودته وابتكاره، ويؤكد أن الأصالة والمعاصرة ليسا ضد بعضهما، بل يمكن أن يشكلا تكاملاً يعزز مكانة المجتمع في المشهد الفني العالمي ويضمن استدامة تراثه الثقافي.

وإن تحقيق التوازن بين الأصالة والمعاصرة إذاً عملية مستمرة تتطلب وعياً عميقاً بتاريخ الفن وثقافة المجتمع، ومعرفة بأساليب وتقنيات العصر الحديث، وقدرة على الدمج بينهما بشكل إبداعي، فهو لا يحافظ فقط على الخصوصية الثقافية، بل يمنح الفن القدرة على التجدد والابتكار، ويجعل الأعمال الفنية قادرة على التواصل مع جمهور متنوع ومتغير، مع الحفاظ على الروابط الثقافية التي تعكس هوية المجتمع وتاريخه، وهكذا يصبح التوازن بين الأصالة والمعاصرة عنصراً جوهرياً لضمان استدامة الفنون التشكيلية في عصر يتسم بالتغير المستمر والتحديات المتزايدة، ويجعل من الفن أداة حية للتعبير عن الهوية الثقافية وتعزيز الانتماء للفرد والمجتمع على حد سواء.[13]

رابعا- دور المؤسسات التعليمية والثقافية في دعم الفنون التشكيلية وتعزيز ارتباطها بالهوية الثقافية:

تلعب المؤسسات التعليمية والثقافية دورًا محوريًا في دعم الفنون التشكيلية وتعزيز ارتباطها بالهوية الثقافية، حيث تشكل هذه المؤسسات الجسر الذي يربط بين التراث الثقافي والجيل الجديد من الفنانين والجمهور، فالفنون التشكيلية ليست مجرد نشاط جمالي، بل هي وسيلة للتعبير عن قيم المجتمع وتراثه وتاريخه، ولذلك تحتاج إلى بيئة مؤسسية توفر الدعم المعرفي والفني الذي يمكن الفنانين من تطوير مهاراتهم الفنية وفهم جذورهم الثقافية، وفي هذا السياق تبرز أهمية المؤسسات التعليمية، مثل المدارس والمعاهد والجامعات، في تقديم برامج تعليمية متخصصة في الفنون التشكيلية، تشمل تاريخ الفن المحلي والعالمي، وتقنيات الرسم والنحت والخزف والتصميم، إضافة إلى تعليم الأساليب الحديثة التي تساعد الطالب على دمج التراث الفني بأساليب معاصرة، ما يضمن نقل الهوية الثقافية إلى الأجيال القادمة بطريقة علمية وفعالة.[14]

وإضافة إلى التعليم الأكاديمي تلعب المؤسسات الثقافية دورًا مهمًا في توفير المساحات والمصادر التي يحتاجها الفنانون لممارسة فنهم وتطويره، فالصالونات والمعارض الفنية والمتاحف والمراكز الثقافية توفر بيئة محفزة للتبادل الفني والثقافي، وتتيح للفنانين عرض أعمالهم أمام جمهور واسع، ما يساهم في تعزيز وعي المجتمع بأهمية الفنون التشكيلية كوسيلة للحفاظ على الهوية الثقافية، وتوفر هذه المؤسسات فرصًا للتدريب وورش العمل والمحاضرات التي تعمق فهم الفنانين والجمهور للمعاني والدلالات الرمزية للأعمال الفنية، وتساعد على تشجيع الحوار بين الفنان والمجتمع،

بين الماضي والحاضر، وبين الثقافة المحلية والتأثيرات العالمية، وهو ما يساهم في الحفاظ على خصوصية الثقافة في ظل التحولات المعاصرة.

وعلاوة على ذلك تعتبر المؤسسات التعليمية والثقافية داعمًا رئيسيًا للبحث والدراسة الأكاديمية في مجال الفنون التشكيلية، فهي توفر مصادر المعلومات والتوثيق التي تساعد الباحثين والفنانين على دراسة التراث الفني وتحليل الأساليب والأساطير الرمزية، وفهم أبعاد الهوية الثقافية في المجتمع، وتسهم هذه المؤسسات في تشجيع الدراسات الميدانية والمعارض التفاعلية والمشاريع المشتركة، التي تساعد على إبراز العلاقة بين الفنون والهوية الثقافية، وتعزز الوعي المجتمعي بأهمية الحفاظ على التراث الفني وتطويره بطريقة متجددة. وفي هذا الإطار، يصبح دور المؤسسات أكثر من مجرد تعليم تقني، بل يتحول إلى وظيفة ثقافية واجتماعية تهدف إلى صيانة التراث الفني ونقله للأجيال الجديدة بشكل حي وديناميكي.[15]

ومن ناحية أخرى تلعب المؤسسات التعليمية والثقافية دورًا في دعم الفنانين من الناحية العملية والاقتصادية، من خلال توفير المنح وفرص المشاركة في المعارض المحلية والدولية، وتمكينهم من الوصول إلى جمهور أوسع، وهذا الدعم يشجع الفنانين على الابتكار والتجريب بأساليب جديدة مع الحفاظ على الروح الثقافية لأعمالهم، ما يضمن استمرار الهوية الثقافية بطريقة حيوية تتكيف مع العصر، وتعمل المؤسسات على توثيق الأعمال الفنية وصيانتها، بما يضمن استدامتها كمرجع ثقافي للأجيال القادمة، وهو أمر حيوي في المجتمعات التي تسعى للحفاظ على خصوصيتها الثقافية أمام تحديات العولمة والانفتاح الثقافي.

وإن المؤسسات التعليمية والثقافية تسهم في خلق وعي جماعي بأهمية الفنون التشكيلية في المجتمع، ومن خلال المعارض والورش والمحاضرات والفعاليات الثقافية، يتمكن الجمهور من التعرف على الرموز التقليدية والأنماط الفنية التي تمثل الهوية الثقافية، وفهم قيمتها التاريخية والاجتماعية، وتساعد هذه الأنشطة على تشجيع الأجيال الشابة على الاهتمام بالفن واختيار مسار فني يعكس تراثهم، وبالتالي يصبح الفن وسيلة لتقوية الانتماء الثقافي وتعميق الشعور بالهوية لدى الأفراد والمجتمع ككل.[16]

وبالنظر إلى كل ما سبق يتضح أن المؤسسات التعليمية والثقافية ليست مجرد جهات تنظيمية، بل هي محور أساسي لدعم الفنون التشكيلية وتعزيز الهوية الثقافية، فهي توفر البيئة المناسبة للتعلم والتدريب والإبداع، وتدعم الفنانين ماديًا ومعنويًا، وتساعد المجتمع على تقدير الفن وفهمه كجزء لا يتجزأ من هويته الثقافية، ومن خلال هذا

الدور المتكامل، تساهم المؤسسات في ضمان استدامة الفنون التشكيلية ونقلها للأجيال القادمة بطريقة حيوية، ما يجعلها أداة فعالة في تعزيز الهوية الثقافية والحفاظ على الخصوصية المجتمعية في مواجهة التحولات الثقافية العالمية.

وفي النهاية يمكن القول إن دور المؤسسات التعليمية والثقافية يمتد إلى عدة مستويات، بدءًا من التعليم الفني، مرورًا بتوفير الموارد والدعم المعنوي والمادي للفنانين، ووصولاً إلى توعية المجتمع وتعزيز انتمائه الثقافي، وتظل هذه المؤسسات عنصراً أساسياً في صيانة الهوية الثقافية عبر الفنون التشكيلية، لأنها تخلق بيئة متكاملة تسمح بالتفاعل بين التراث والمعاصرة، بين الفنان والمجتمع، وبين الفرد والجماعة، بما يعزز قدرة الفنون التشكيلية على التعبير عن القيم الثقافية والمحافظة عليها عبر الزمن.[17]

ملخص النتائج:

1. أظهرت الدراسة أن الأعمال التشكيلية تمثل لغة بصرية تنقل القيم والمعتقدات والتقاليد المجتمعية، ما يجعل الفن وسيلة حيوية لتعزيز الانتماء الثقافي لدى الأفراد والمجتمعات .
2. بينت النتائج أن الانفتاح على التيارات والأساليب العالمية يمكن أن يؤدي إلى تمييع الهوية المحلية إذا لم يتم دمج الأصالة مع المعاصرة بشكل مدروس، ما يبرز أهمية وعي الفنان والثقافة المؤسساتية .
3. كشفت الدراسة أن دمج الرموز التقليدية مع الأساليب الحديثة يعزز الإبداع الفني ويحافظ على الخصوصية الثقافية، ويجعل الأعمال الفنية قادرة على التواصل مع الجمهور المعاصر دون فقدان جذورها التراثية .
4. أظهرت النتائج أن المؤسسات التعليمية والثقافية توفر الدعم المعرفي والعملي للفنانين، وتعزز وعي المجتمع بأهمية الفنون التشكيلية، مما يضمن استدامة التراث الثقافي ونقله للأجيال الجديدة بطريقة حية ومتجددة.

التوصيات:

1. تعزيز البرامج التعليمية الفنية تطوير مناهج متخصصة في الفنون التشكيلية تدمج بين التراث الثقافي والأساليب الحديثة لتقوية وعي الطلاب بالهوية الثقافية .
2. تطوير ورش العمل والمعارض الفنية و تنظيم معارض وورش عمل مستمرة للفنانين المحليين لتوفير بيئة عملية تشجع على التعبير عن الهوية الثقافية بطريقة معاصرة .

3. تشجيع البحث الأكاديمي في الفنون والهوية الثقافية ,دعم الدراسات العلمية التي تبحث في العلاقة بين الفنون التشكيلية والهوية الثقافية لفهم أعمق للتحديات والفرص .
4. دمج التراث مع الابتكار وحث الفنانين على مزج الرموز والأساليب التقليدية مع التقنيات والأساليب الحديثة للحفاظ على الخصوصية الثقافية مع الإبداع المعاصر .
5. تقديم الدعم المالي والمعنوي للفنانين و توفير منح وبرامج تمويل للفنانين لتعزيز إنتاج أعمال فنية تعكس الهوية الثقافية وتحافظ على التراث المحلي .
6. إطلاق حملات توعية مجتمعية وتعزيز وعي المجتمع بأهمية الفنون التشكيلية ودورها في صيانة الهوية الثقافية عبر وسائل الإعلام وفعاليات ثقافية .
7. إنشاء مراكز ثقافية متخصصة و إنشاء مراكز متخصصة تجمع الفنانين والباحثين والجمهور لبحث التراث الثقافي وتقديم أعمال فنية تعكس الهوية المحلية .
8. توظيف التكنولوجيا بشكل مدروس و تشجيع استخدام الوسائل الرقمية والفنون الحديثة بطريقة تدعم نقل القيم الثقافية دون تمييع الهوية .
9. تشجيع التعاون بين الفنانين والمؤسسات التعليمية وإقامة شراكات بين الفنانين والجامعات والمعاهد لتعزيز التدريب والتطوير الفني المرتبط بالهوية الثقافية .
10. تقييم ومراجعة السياسات الثقافية بانتظام وضرورة وضع سياسات ثقافية مرنة تساعد على حماية التراث الفني وتعزيز دور الفنون التشكيلية في التعبير عن الهوية الثقافية بشكل مستدام.

بيان تضارب المصالـــح:

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة

المراجع:

1. علي الحسيني، الحروب المعاصرة وأمن المعلومات، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 2020، ص 45.
2. محمد الزهراني، الفن والهوية الثقافية، دار الثقافة للنشر، الرياض، ط1، 2019، ص 88.
3. سارة الأمين، التشكيل العربي بين الأصالة والمعاصرة، دار الفكر، القاهرة، ط3، 2021، ص 102.
4. يوسف البكري، الفنون التشكيلية ودورها في المجتمع، مكتبة النهضة، دمشق، ط1، 2018، ص 57-58.
5. ليلى خالد، الهوية الثقافية في الفن العربي، دار الابداع، عمان، ط2، 2022، ص 75- 83.

6. جمال المطيري، العولمة والفنون البصرية، دار النشر الأكاديمي، الكويت، ط1، 2021، ص 33-34-35.
7. هدى محمود، الفن التشكيلي والتعليم الأكاديمي، جامعة الخرطوم، دار التعليم، ط1، 2020، ص 22- 29.
8. فاطمة السالم، التراث والفن الحديث، دار الكتب الثقافية، تونس، ط2، 2019، ص 66.
9. ناصر الشريف، التقنيات الحديثة في الفنون البصرية، دار التنوير، دبي، ط1، 2021، ص 114.
10. ريم عيسى، الفنون التشكيلية والهوية الوطنية، دار النهضة، بيروت، ط1، 2022، ص 40- 47.
11. خالد أبو بكر، التوثيق الفني والتحليل الثقافي، دار العلم للملايين، القاهرة، ط4، 2020، ص 150- 158.
12. منى الكيلاني، الرسم بين التقليد والحداثة، دار الفكر العربي، الرباط، ط1، 2021، ص 39-90.
13. زياد حسين، الفن والثقافة الشعبية، دار الأثر، بغداد، ط2، 2018، ص 28.
14. ليندا أحمد، المعرض الفني كفضاء ثقافي، دار النهضة العلمية، جدة، ط1، 2022، ص 55.
15. عمر سليمان، الهوية الثقافية في الفن العالمي، دار المعرفة، بيروت، ط1، 2019، ص 81.
16. هبة القيسي، التعليم الفني والتحول المعاصر، دار الإبداع، القاهرة، ط2، 2021، ص 47.
17. عبد الرحمن النقاش، الفن التشكيلي بين الجمهور والفنان، دار الثقافة المعاصرة، عمان، ط1، 2020، ص 98- 104.